الملف الفلسطيني للحزب الاشتراكي الفرنسي وزيارة ميتران إلى اسرائيل

خلال جولته الانتخابية، وعد المرشح فرنسوا ميتران بأنه سيزور اسرائيل كرئيس لجمهورية فرنسا. وغداة استلامه مهام المنصب، أكد في رسالته إلى مناحيم بيغن، رئيس وزراء اسرائيل، أنه سيقوم بتنفيذ الوعد. وفي الثالث من آذار (مارس) الماضي، وفى بتعهده كأول رئيس دولة أوروبية يزور إسرائيل رسمياً.

وقد تمت الزيارة في احتفال مهيب، فرنسياً واسرائيلياً، فهللت لها الصحافة ووسائل الاعلام الفرنسية، واكتست صفحاتها الأولى بتحليلات «حضارية» و«سياسية» و«ثقافية». وعلى الصعيد الرسمي، كان وزراء الخارجية والثقافة (كلودشيسون، جاك دولور وجاك لانغ) وخلفهم عشرات الديبلوماسيين، يهرعون خلف الرئيس الفرنسي عند نزوله من الطائرة. ومن الجانب الاسرائيلي، كانت «دولة» اسرائيل بكاملها، على أرض المطار، تستقبل صديقاً للصهيونية والشعب اليهودي، كما وصفته السلطة والمعارضة (بيغن وبيريس)، وعلى أبواب القدس، وقف كبار حاخامات اسرائيل يتبادلون معه النبيذ والخبز والملح.

أما برنامج الزيارة، فقد كان حافلاً ومكثفاً ويشمل مايلي: اجتماعات مع رئيس الدولة، اجتماعات مع رئيس الوزراء، خطاب في الكنيست، اجتماعات مع زعماء المعارضة، مأدب شهية، مؤتمر صحافي مشترك مع بيغن ثم تصريح صحافي قبل مغادرته المطار. وبالطبع، اجتمع الوزراء المرافقون كل مع نظيره، وأضاف وزير العلاقات الخارجية كلود شيسون إلى ذلك «لقاء» عقده مع وفد يمثل رؤساء بلديات الضفة الغربية الذين تقدموا له بكتاب أسود عن وضع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال الصهيوني.

وقد تناول الجانب الفرنسي، في زيارته وخطاباته وتصريحاته، كافة الجوانب والنقاط التي تتعلق بسياسة فرنسا إزاء مشكلة الشرق الأوسط، ابتداء بالمشاعر تجاه الصهيونية ومروراً بالمواقف من: الصراع العربي ــ الاسرائيلي والأراضي المحتلة، حقوق الشعب الفلسطيني والعلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية، كامب ديفيد والقوة متعددة الجنسية، المبادرات الأوروبية، مشروع فهد، وانتهاء بالموقف من القرار الاسرائيلي بضم الجولان. أي، بكلام آخر، وضع النقاط على الحروف وتحديد سياسة فرنسية اشتراكية، واضحة الأهداف والمعالم، أعادت «تركيب» السياسة الفرنسية، بعدما «جنح» الديغوليون، إلى موقف «متوازن» بين المعتدي والمعتدى عليه.

ومع ذلك، يعتبر المراقبون أن هذه الزيارة توَّجت أو رسَّمت تطورات جوهرية في السياسة الاشتراكية الفرنسية ابتدأت تباشيرها في البرنامج الاشتراكي ــ الشيوعي عام ١٩٧٢، وتقدمت بقفزات بعد تسلم الاشتراكيين السلطة عام ١٩٨١، وصولاً إلى المواقف المعلنة خلال